أنـــا . . . والقمر !

للأســـتاذ راجي الراعي

لقيت القمر أمس ، وكان بدراً ، وإليك ما دار بيننا :

— من أنت أيها القمر ؟ !

أنا — أنا هو القمر !

— ولم هذه القطرسة ؟ !

— ألا ترى أين أنا ؟ إني أوسط الأفق — !

— ولكنك مع علائك لست بالمعالي ، فأنت تستمير نورك من الشمس —

— وهل ترى في ذلك ما يشير إلى النقص — من هو الذي لا يحتاج ولا يستعير ولا يستجير — أتحسب أن في الأرض والسماء حراً مستقلا غير الله ! — الإنسان مدين لفمه ، وفمه مدين للأرض التي غذته بثمارها ، والأرض مدينة لعناصرها التي تصون كيانها ، وقلب الأرض مدين لقلب الأفق الذي يسقيه ويحييه — النهامة التي تراها عالقة بأهداب السماء ، مدينة للبحر الذي قذف بها إلى سمائها — البحار مدينة للأنهار ، والأنهار للينابيع ، والينابيع للجبال ، والجبال لقرائها التي تضامنت لتكونها — نعم ، أنا مدين للشمس ، والشمس مدينة لعالمها ، وعالمها مدين لذاته — الحياة مدينة للأرحام التي تقذف لها بالأجنة ، والموت مدين للحياة التي تملأ لحوده — القرون مدين بعضها لبعض ، وكلها مدينة للرجل الأول — الموسيقى والغرام والتصوير والنقش والشعر فنون مدينة للخيال ، والخيال مدين للمرأة ، والمرأة مدينة للحب والجمال — الليل مدين للشمس التي غابت ، فلولاها لم يضرب خيامه في الأرض ، والفجر مدين لليل ، فلولاه لم يطلع — أنا مدين للشمس أستمير نورها ، ولكن الليالي مدينة لي به وأنت مدين لي ساعة تتسكع في الظلمة ، وساعة أثير صدر حبيبتك النابض في ظلي فتضمك إليه ، إن في كل قبلة من قبلها حبك شيئاً مني — أنا هو القمر — أنا القمر — أنا البدر وكفى —

— ما عهدتك يا صاحبي فصيحاً إلى هذا الحد وغزيراً — ولم أر قبلك من يدافع عن نفسه بمثل هذه البلاغة — حقاً إنك لنقيب المحامين ، وإنك لجميل ، وأجمل ما فيك وضوحك وجلاؤك ! عبقريتك عبقرية الوضوح والجلاء — ليس فيك شيء من الإبهام والقلق والاضطراب ، وهي نعمة أحسدك عليها —

— لا ، لا تحسبها نعمة ولا تحسدني — أرأيت تلك النجمة التي تقلق الناظرين إليها وتدفعهم إلى السؤال من وجهها ، إنها أجمل مني ، لأنها تحجب بعض ما فيها من الخلائق ولا ترفع الحجاب عن محياها فيبدو بكل ما فيه ، ولا تقف مثل على ملتقى الطرق لتهدي بوضوحها التائهين — إنها تتشبث بسرها ، وتخفي عنك ضميرها ، فهي ليست عارية مثلي ، وعيبي الذي تحسبه جمالا هو أنني نزعت كل ثيابي وانبطحت أمامك فأريتك نفسي — أنا رجل ساذج أبله — وهل يتعرى أمام الناس إلا السذج البله — أنا رجل صريح سرّه في وجهه وقلبه على لسانه ، ولكن صراحتي وسذاجتي ووضوحي صور لا يعرضها الجمال الحقيق على لوحته ، فهو يرتاح إلى ما تنقش عنه العيون ، إلى الأسرار ، إلى الإبهام الذي يهز أعماق النفوس ويثيرها — انظر إلى الموسيقى كيف تؤجج النار في نفسك كلما زادت إبهاماً ، وانظر إلى الليل كيف يقلب صفحات قلبك وأنت تتلمس فيه طريقك ، وإلى المستقبل كيف يجذبك إليه وأنت محجوب عنه ، وإلى الشعر كيف يطربك وأنت لا تدري لذلك من سبب ، وإلى الحب المتعم بالذات لأنك

المظلم من إشراقه ما يملأ جوانب النفوس بالنور ، ويرسل إلى المستقبل المجهول من أنباس ضيائه ما يطمئن الحيارى على مواطئ أقدامهم في مقبل الأيام !

أليس من المخجل أن نتلقى الدروس في كل حين من تلك الدولة التي تحيط بها من كل ناحية إحاطة السوار بالمعصم ؟

لقد كان الأمل أن تحيط بها لتزهق باطلها التحدة أنفاس هذا الوليد اللقيط الذي اعترف العالم بشرعية مولده ، ولكننا وا أسفاه قد أحطنا به لنتلقى عنه آخر الأمر كثيراً من الدروس — الدروس التي تنقصنا وتكتب للشعوب معاني الحياة والبقاء ! !

(أ . م)

لا تعرف له بداية ولا نهاية ... حبذا لو كان لى وشاح واحد من أوشحة هذا الليل الذى يكتنفنى !

— ما الذى تراه فيك جميلا أيها القمر البدر ؟

— رأفتى بالمتسكعين فى الظلمة !

— ولمن أنت ؟

— أنا لابى الشمس

— من هو عدوك الأكبر ؟

— الفجر

— من يقيم فى دارك ؟

— العاشق والفيلسوف والشاعر

— ومن أيضاً ؟

— المرأة — المرأة — المرأة !

— كيف تحتج أيها القمر ، وكيف تغضب إذا ما طفحت كأسك وضاق صدرك ؟

— بخسوف

— هل جاءك يوماً جارك القمر وهمس فى أذنيك من كلمات ؟

— أنا فى رأفتى بالعباد أكره منقاره الذى ينقض به على الفريسة ...

— كيف أنت والنجوم ؟

— القوى والضعيف لا يتحابان ولا يتصافيان —

— هل أنت راض عن الليل ؟

— لى عنه يومان : يوم ولاء ، ويوم عداء !

— ألم تسأم من الملياء ؟

— ومن يسأم منها ؟

— ألم تحدثك نفسك يوماً بالتخلى عن عرشك ؟

فضحك القمر البدر حتى ضحكت لضحكه ، وما زلنا نضحك فى أعالى الفضاء حتى أقبل علينا الفجر متململا من ثرثرتنا واقض على جنون البدر وجنونى ، وأعادنا من سماء الخيال الرفيع إلى الحقيقة الكئيبة ...

رامى السراج

خواطر مبعثرة :

قد يقتل الألم الشـــعر !

(إن القوة التى تشد الأوتار هى التى تمزقها ، والنار التى تشد الدفوف هى التى تحرقها .
فإلى من تمزقت أوتارهم ، واحترقت دفوفهم ، أهدى رماد النار ، وتراب القيثار !!)

يقال إن الألم يوقظ الحواس ، ويشد أوتار الإحساس ، ولهذا القول من الصواب خلاق ، لكن على غير الإطلاق . فإن القوة التى تشد الأوتار هى التى تمزقها ، والنار التى تشد الدفوف هى التى تحرقها ، والقسر الذى يضغط الشفاف حتى يلهبه ، ليس أقتل منه للموهبة ! فالشاعر كالطائر يموت من كل آلامه بالبكاء ، إلا ألم القسر فقد يموت به من غير اشتكاء . والأملاق ضرب من القسر والإذلال ، والإذلال قتل من أبغض الأقتال ! فإذا حصر الشاعر فى عيشة محدودة ، ومرامه ممدودة ، كبت القسر إحساسه ، وكتم السر أنفاسه !

وقد قيل إن البؤس أسدى إلى حافظ إحساناً ، وأضفى على شعره إتقاناً ، فلم يأت بالنفائس ، إلا وهو يائس ، وأنه لما لمس بعض السعادة ، أخلد إلى البلادة ، ولما ارتاح باله ، قل فى الشعر مقاله ، فهل استراح هذا الشاعر إلا بعد أن هدت الأيام قواه ، وأشرف من المعرعلى منتهاه ؟ وحسبنا البيت الذى قاله ، مصوراً حاله سميت إلى أن كنت أمثل المثل وعدت فما أعجبت إلا التندما

لقد كان فعل الآلام قوياً متهاسكا ، عند ما لاذ الشاعر بالثانية لاهثاً متفككا ، فلم يصمت مؤثراً الصمت ، وإنما كان يتاهب للموت ، ومن قطع جل عمره فى لأواء ، ناء فى منتهى الشوط بالداء العياء !

وإذا كان البؤس هو الذى جعل حافظاً شاعراً كبيراً ، فبماذا كان شوقى للشعر أميراً ؟ وقد نشأ فى أنعم دار ، ولعب باللؤلؤ والنضار ، وتربى فى أحضان البلهنية ، ولم تعز عليه أمنية ؟ أعتقد أن البحبوحة ، هى التى أطلقت روحه ، فنبغ فى ظلال السعة ، والعيشة الممتعة

عامر بدر